



اسباب الموت في حديقة الحيوانات

بين أسوار حديقة الحيوانات الكبرى ، في باريس ، حالة الطواريء معلنة منذ شهر . لم يكن عيد الميلاد متعة للحيوانات ولا للزوار . في يوم الميلاد ظلت أبواب الحديقة مغلقة .. وأبواب الاقفاص . لم ينزل الجيش الفرنسي الى الحديقة بعد (فلعل ما يتعرض له من نقد بعد قمع الخلايا الثورية فيه قد حط من معنوياته) .. وما حاجة الجيش بالنزول ، على أي حال ؟ الحيوانات ليست مصابة بالسعار ولا هي تنال من احد بأذى . أنها مصابة بالرعام (على ذمة القاموس) وهي تموت في صمت .. مات القرد والطبي وأربعة جياذ . واعتبر الامر نازلة من النوازل في حديقة مزدحمة بالسكان : فيها سبعمائة من الطيور وخمسمائة من الثدييات . هذا هو التعداد بالضبط ، فلا أحد في الحديقة يخاف الاحصاء العام .

فورا بدأ البحث عن اسباب الازمة الداخلية . تحرك معهد باستور والمختبر المركزي للأبحاث البيطرية . أخذت عينات من الانسجة وعينات من التراب وتم تحديد العدو دون ابطاء : انه عصية وايتمور ، وهي بكتيريا تنتقل من النفايات او من التراب او من العلف .

ثم انتقل البحث الى الاسباب الدولية . فتبين ان العصية المذكورة تصيب القوارض في جنوبي شرقي اسيا وانها انتقلت حديثا الى افريقيا الاستوائية . وهي قد تصيب الانسان أيضا فيظهر عليه تسمم عام مصحوب بتقرح متعدد المواقع . وتبين ايضا ان هذه المرة هي الاولى التي يختار فيها هذا الداء مدينة اوروبية لاقامته . كيف أمكن ذلك رغم ان الحديقة لم تستورد أي حيوان جديد منذ عام كامل ؟ لا بد ان حيوانا غريبا قد حمل العصية الى الثدييات البرية واقتضى الامر سنوات عدة من الخمول والاختمار قبل بروز المرض .

المهم الان هو حصر الداء للحؤول دون سقوط ضحايا جديدة . والاجراءات المتخذة في هذا السبيل حاسمة ، فروث الحيوانات يجري كنسه وخزنه . والحراس العشرون يطهرون جزماتهم وقفازاتهم حالما يفرغون من العناية بنزلائهم . والطبيب الاستاذ جاك نوفيل يأمر بغسل عجلات سيارته كلما خرج من الحديقة (وهي تقع في وسط المدينة) لئلا ينقل الجائحة (أي عدوى الموت باللغة البيطرية) الى حيوانات اخرى يعتني بها في الضاحية . هذا والحديقة مغلقة أمام ستمائة ألف زائر كانوا يرتادونها كل يوم .

★★★

ليس بيننا وبين الحيوانات عداوة ، لا والله ، ولا نرى بأسا ، حين يموت قرد أو ظبي أو حصان ، من أن نبذل عليه ما تبقى في نفوسنا من حزن ، لكن الانا من اللبنانيين — لم نحصهم — ماتوا خلال تسعة اشهر . من ذا الذي يستطيع ان يبيننا بالاسباب الداخلية والخارجية لهذه الجائحة ؟ أم لعله كتب علينا ان نموت لاسباب سرية ؟ من ذا الذي وجد القدرة على الاسف لموت القرد اسفه لموت الطبي أو الجواد ؟ من ذا الذي لم يجد عزاء في كون الرعام يصيب الثدييات ولا يصيب الطيور ؟ من ذا الذي غسل سلاحه من دماننا حتى لا ينقل الموت معه الى ضاحية جديدة ؟

أحمد الجبيلي ■